Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 3, Issue 5 (2024) • P: 53 - 36
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The semantic and lexical level of bilingualism in protest ages

Co-Prof. Mohammad Khaled Al-Rhawi
Qatar University | Qatar

Received: 01/08/2024
Revised: 25/08/2024
Accepted: 03/09/2024
Published: 30/12/2024

* Corresponding author: rhawi082@gmail.com

Citation: Al-Rhawi, M. KH. (2024). The semantic and lexical level of bilingualism in protest ages. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 3*(5), 36 – 53. https://doi.org/10.26389/AJSRP.R040824

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The first-century bilingual research addresses Hijri at the semantic and lexical level, starting with a pave between the five levels of linguistic performance: Quranic performance level, poetic performance level, official performance level, paltry performance level, and daily performance level. He then referred to bilingual levels: The lexicon level, the acoustic level, the pure level, the grammar level, and the research was conducted at the lexical level that appeared in two manifestations. The first appearance was the difference in the connotations of a single term between tribes. This was highlighted in three issues: the multiplicity of names and the multiplicity of connotations of a single word. The second manifestation was the multiplicity of words indicative of the same meaning, highlighted in two issues, namely, the proliferation of names for one name and synonyms, which provided many linguistic testimonies explaining what was meant in each aspect of this level of bilingualism, and then concluded with the most notable results.

Keywords: connotation, duplication, performance, word, meaning.

المستوى الدلالي والمعجمي للازدواجية اللغوية في عصور الاحتجاج

الأستاذ المشارك / محمد خالد الرهاوي
جامعة قطر | دولة قطر

المستخلص: هذا البحث متمم لبحث سبقه بعنوان الازدواجية اللغوية في القرن الأول الهجري تعرض لمفهومها وتاريخ ظهورها وأسبابها ومظاهرها، ويتناول هذا البحث الازدواجية اللغوية في القرن الأول الهجري على المستوى الدلالي والمعجمي؛ بدأ بتمهيد بين فيه مستويات الأداء اللغوي الخمسة: مستوى الأداء القرآني، ومستوى الأداء الشعري، ومستوى الأداء الرسمي، ومستوى الأداء النثري، ومستوى الأداء اليومي. ثم أشار إلى مستويات الازدواجية اللغوية: مستوى المعجم، والمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، وأدار البحث على المستوى المعجمي الذي بدا في مظهرين، المظهر الأول تمثل في اختلاف دلالات اللفظ الواحد بين القبائل وبرز ذلك في ثلاث مسائل هي الأضداد وكثرة المسميات باسم واحد وتعدد دلالات اللفظ الواحد، والمظهر الثاني تمثل في تعدد الألفاظ الدالة على المعنى الواحد، وبرز ذلك في مسألتين هما كثرة الأسماء لمسمى واحد والترادف، موردا شواهد لغوية كثيرة توضح المقصود في كل جانب من جوانب هذا المستوى من الازدواجية اللغوية، ثم ختم بأبرز النتائج.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، الازدواجية، الأداء، اللفظ، المعنى.

تمهيد:

يظنُّ كثير من الناس -نتيجة للصورة النمطية للأداء اللغوي التي رسمتها المسلسلات التاريخية والأبحاث اللغوية والأدبية- أن العربية انشطرت في العصر الحديث إلى لهجات متعددة متباينة لا تمت إلى الفصاحة بصلة، وأن العربية لغة لا يتكلمها أهلها، وأن العرب جميعا كانوا يؤدون العربية أداء لغويا مثاليا في جميع شؤون حياتهم، ولا يختلف أداؤهم اليومي العادي عن أدائهم الشعري حسب اعتقادهم، وهذا وهم ينقضه أمران:

1. منطق اللغة نفسها، إذ لا يمكن أن تؤدى لغة واحدة تختلف مجتمعاتها أداء واحدا، ولا يمكن أن يكون الأداء العادي والرسمي والأدبي واحدا أيضا، كما هو الحال في عصرنا الحاضر، وكما هو حال اللغات الأخرى كلها، وليس هذا خاصا بالعربية وحدها.
2. واقع الأداء اللغوي في عصور الاحتجاج قبل الإسلام وازداد اختلافا وتباينا بعده لولادة نموذج التجويد الذي يعد أداء مثاليا خاصا للقرآن الكريم، ومن ثَمَّ كانت الازدواجية اللغوية متعددة الجوانب والمظاهر ولا سيما في القرن الأول الهجري؛ ولهذا كان الأداء اللغوي متعددا ويمكن تصنيفه بالمستويات الآتية:

وقد هدف البحث إلى تغيير هذه الصورة النمطية العالقة في أذهان كثير من الناس من خلال معالجة المستوى الدلالي والمعجمي للازدواجية اللغوية في عصور ما قبل الاحتجاج؛ لأنها تمثل مرحلة الأداء اللغوي المثالي للعربية، متبعا في ذلك المنهج الوصفي وموردا أكبر قدر ممكن من الأمثلة اللغوية التي تجلي هذا المستوى من الازدواجية في تلك العصور، ولم يكن الهدف الاستقراء التام لكل المفردات أو المعاني على هذا المستوى، فهذا أمر متعذر، ولا يمكن أن يحيط به مجلد واحد بَلْهَ بحث مجلة.

أولاً: مستوى الأداء القرآني، ويتمثل في أداء القرآن الكريم وما يتطلبه من التجويد والتحسين في الصوت ومن تحقيق للمخارج والصفات، والمدود والقلقة والإدغام والإقلاب وغير ذلك من أحكام ليست لازمة في الشعر ولا الحديث اليومي، وعُدَّت أحكام الأداء تلك واجبة؛ لأننا يجب أن نؤدي القرآن كما تلقاه النبي ﷺ عن الوحي، وعُدَّ من لم يجوّده آثما، يقول ابن الجزري[1]:

والأخذ بالتجويد حتمٌ لازمٌ * من لم يجوّد القرآنَ آثمٌ**

لأنه به الإلـهُ أَنَـــزلَ * وهكذا إليـنا منه وصل**

وثمة أحاديث كثيرة تحث على التغني بالقرآن وتجويده، ولو نظرت إلى أي حكم من أحكام التجويد ونظرت في تطبيقه لوجدت الناس مطبقين له حريصين عليه كل الحرص في أداء القرآن الكريم، ومهملين له في حديثهم اليومي؛ إذ لا داعي للتغني والتجويد فيه، فالقلقة مثلا يُؤتى بها في التلاوة، ويفرق بينها إن كانت كبرى أو صغرى، وهذا له أثره في الأداء، وليس كذلك الأمر في الحديث اليومي. كذلك الإخفاء، يطبقه الناس في أداء القرآن الكريم، ويهملونه في لغة الحياة اليومية، ومثل ذلك المدود، فبعضها واجب ولأنواعه مقادير محددة يجب أن يؤتى بها، وليس ذلك بلازم في الحديث اليومي ولا بغيره، وقد عُرف عن تميم والقبائل البدوية السرعة في الكلام فلا يتحقق المد في كلامهم بناء على ذلك، بينما عرفت الحجاز بمط الكلام، وبناء على ذلك ربما يتحقق المد الطبيعي دون بقية أنواع المدود.

ثانياً: مستوى الأداء الشعري، ويتمثل في لغة الشعر في القرن الأول الهجري وما قبله، ولا شك أنها مختلفة عن لغة القرآن الكريم أو النثر الفني بمختلف أنواعه أو الحديث اليومي، فهي لغة فنية تهدف إلى التعبير بطريقة جمالية فنية في قوالب موسيقية وإيقاعية محددة، والجمال والإيقاع فيها مقدمان على الصحة النحوية، ومن هنا كانت لغته عرضة للضرورة واللغة الشعرية الخاصة، وغالبا ما يلتزم الشعرُ الفصحى، وقد تدخله بعض اللهجات المحلية، وربما أنشدته بعض القبائل بلهجاتها كما سبق أن أشرت إلى ذلك. والدواوين الشعرية ودواوين القبائل مطبوعة، ويمكن الرجوع إليها؛ لهذا لا حاجة إلى أن نذكر شواهد منها هنا.

ثالثاً: مستوى الأداء النثري، ويتمثل في الرسائل الرسمية والتعليم والخطب والوصايا والأدعية وغير ذلك من فنون النثر العادي والأدبي، وهو يلتزم اللغة الفصحى لا يحيد عنها، ونادرا ما يتضمن لهجات. ومن ذلك رسائل النبي صلى الله عليه وسلم وخطبه ووصاياه وأدعيته، وكذلك الخلفاء والأمراء والقادة من بعده، كما يتمثل في اللغة المستعملة في حلقات التعليم والمفاوضات وغير ذلك. وكل ذلك أو معظمه مدون محفوظ يمكن العودة إليه، ولا داعي للتمثيل عليه هنا.

رابعا: مستوى الأداء اليومي، ويتمثل في اللغة الدارجة التي يستعملها أبناء كل مجتمع أو قبيلة للتواصل فيما بينهم، وهذا المستوى يشمل اللهجات فقط، ولا يتكلف أصحابه الكلام أو الإعراب، بل هو سجية وطبع قد يأتي وفق القواعد النحوية، وربما يأتي مخالفا لها، وكذلك الحال بالنسبة للأصوات، وغالبا ما يكون في كل لهجة أصوات خاصة بها تميزها من غيرها، فلهجات القبائل العربية في الجاهلية لم تمت بل استمرت إلى يومنا هذا، والقرن الأول الهجري كان أقرب إليها، فمن المحال أن تكون قد نُسيت أو أهملت، ويضاف إليها اللهجات المختلطة بلغات أجنبية كما في العراق الذي كانت تغلب فيه الفارسية على العربية وتستعمل لغة رسمية حتى بدأ التعريب على يد الحجاج، وكما في الشام التي كانت السريانية لغة الكتابة الرسمية ولغة الدواوين حتى بدأ التعريب على عهد عبد الملك بن مروان

(1) شرح المقدمة الجزرية ص335.

عام (81 هـ) في الشام، وكذلك الحال في مصر ولم يبدأ التعريب فيها إلا بعد سنوات من بدئه في الشام، ومن المحال أن تكون ألسنة أهل تلك المناطق قد تعربت وانتقلت إلى اللغة الفصحى خلال فترة زمنية وجيزة.

المستويات اللغوية للازدواجية

تتجلى الازدواجية اللغوية في القرن الأول الهجري بوضوح في الفروق الكلية والجزئية التي تشملها المستويات اللغوية للهجات القبائل العربية: الدلالية والمعجمية والصوتية والصرفية والنحوية، وسأبينها مع شواهدها فيما يأتي دون استقصائها وحصرها، فهذا يحتاج سنوات عديدة ومجلدات كثيرة، بل سأورد منها ما يكفي لبيان اختلاف اللهجات العربية فيما بينها على نحو لا يدع مجالا للشك أن الازدواجية كانت آنذاك قائمة بقوة.

الازدواجية اللغوية على المستوى المعجمي والدلالي

لا شك أن كثيرا من الكلمات العربية تشترك القبائلُ العربية في دلالتها؛ وذلك لكون العربية الفصحى الموحدة لغة مشتركة لكل المجتمع العربي الكبير الممتد من المحيط إلى الخليج، لكن تنفرد بعض القبائل والأماكن بدلالات خاصة لكثير من الكلمات، وهذا أمر بدهي؛ لأنها تواضعت على استعمالها بهذه الدلالات لتعبر عن عاداتها وتقاليدها وحوائجها وفي معاملاتها، كما هو الحال الآن في المجتمعات العربية تماما، وربما كان التفاهم والتواصل صعبا إلى حدٍّ ما بين مجتمع وآخر؛ ولهذا وجدنا أبا عمرو بن العلاء يقول: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"[(2)]. ولعل الاختلاف الذي أراده أبو عمرو هنا ليس في الجانب النحوي، إذ إن اللغات السامية عموما تتفق في كلياته وكثير من جزئياته، بل لعل المراد هو اختلاف الألفاظ ودلالاتها، وهو ما يظهر بوضوح في معجم لغة حمير وسروها. يقول ابن منظور: "وحمَّر الرجلُ: تكلم بكلام حمير. ولهم ألفاظٌ ولغات تخالف سائر لغات العرب"[(3)].

من هنا تتجلى الازدواجية اللغوية في القرن الأول الهجري وقبله على المستوى الدلالي في اختلاف دلالة كثير من الألفاظ من قبيلة إلى أخرى، ومن منطقة إلى أخرى، والشواهد على ذلك غزيرة، والحكايات والأخبار كثيرة، وكذلك كثرة الأسماء للشيء الواحد والمسميات باسم واحد، فمن ذلك قبل الإسلام مثلا حكاية الملك الحميري إذ قال لزرارة بن عدس: ثبْ. فقال: ما كان لي أن أعصي أوامر الملك، فقفز فمات. فتساءل الملك مستغربا من فعله، فأخبروه أن "ثب" في لغة تميم معناها "اقفز. فقال: من دخل ظفار حمَّر[(4)]. وكذلك بعد الإسلام تجلت في خطاب النبي ﷺ لوفد قبيلة نهد اليمينة، ولم يتضح مضمون الخطاب لأصحابه، فقال علي رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، نحن ذو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره[(5)]. ومن ذلك أن خالد بن الوليد رضي الله عنه طلب في حرب الردة نادى أن يدفئوا الأسرى، فما كان من ضرار بن الأزور إلا أن قتلهم؛ لأن "أدفئوا الرجل" في لغة كنانة يعني اقتلوه[(6)]. وكذلك حادثة سقوط السكين من يد رسول الله؛ روي أن أبا هريرة رضي الله عنه لما قدم من دوس عام خيبر لقي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وقعت من يده الشريفة سكينٌ، فقال له بما معناه: السكينَ يا أبا هريرة. فالتفت أبو هريرة يَمنةً ويَسرةً، ولم يفهم المراد من اللفظ، فكرر له الرسول القول ثانية وثالثة، وهو يكرر ما بدأه أولا من الالتفات ثم قال: آلمديةَ تريد؟ وأشار إليها، فقال: نعم. قال: أو تسمى عندكم سكينا؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ[(7)]. ومن ذلك كلمات كثيرة وردت في القرآن الكريم حملت على لغات قبائل وفسرت بالمعنى الذي تستعمله تلك القبائل، ويمكن تصنيفها في مظهرين:

الأول: اختلاف دلالات اللفظ الواحد بين القبائل، ويتجلى في ثلاث مسائل:

- الأضداد
- كثرة المسميات باسم واحد
- تعدد دلالات اللفظ الواحد

الثاني: تعدد الألفاظ الدالة على المعنى الواحد، ويتجلى في مسألتين:

- كثرة الأسماء لمسمى واحد.
- الترادف.

(2) طبقات فحول الشعراء 11/1.

(3) اللسان (حمر).

(4) اللسان (حمر)، والمزهر 256/1-257.

(5) معالم اللهجات العربية ص74.

(6) فوات الوفيات 233/3.

(7) اللسان (سكن)، ومعالم اللهجات ص74.

المظهر الأول: اختلاف دلالات اللفظ الواحد بين القبائل

تختلف دلالة كثير من الكلمات العربية من قبيلة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر، ولا أعني بذلك تعددها حسب ورودها في السياق، بل على نحوٍ عامٍّ، ويتجلى ذلك في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الأضداد؛ أي أن تستعمل قبيلةٌ كلمةً لمعنى معين، وتستعمل قبيلة أخرى الكلمة نفسها لمعنى ضده، ومن غير المنطقي أن تستعمل القبيلة الكلمة نفسها لمعنيين متضادين في غير مواضع السخرية والاستهزاء؛ لأن ذلك يؤدي إلى اللبس ونقض الغرض من الكلام المتمثل في الإيضاح، وقد نسب العلماء كثيرا من دلالات الكلمات إلى قبائلها، من ذلك مثلا كلمة "ضحضاح" التي تدل على معنى الكثرة عند هذيل، "ولا يكاد يعرفها غيرهم" كما يقول ابن منظور[8]، وتدل على الصِّغر أو القلة عند قريش، روي أن النبي ﷺ قيل له: هل نفع أبا طالب قرابتُه منك؟ قال: بلى، وإنه لفي ضحضاح من نار، ولولاي لكان في الطَّمطام"[9]. ومن ذلك كلمة "العِدّ"، عن أبي عبيدة أن الماء العِدّ بلغة تميم: الكثيرُ، وبلغة بكر بن وائل: القليلُ، وبلغة كلب: الرَّكِيُّ[10]. ومن ذلك الوثب، فهو في لغة حمير القعود، وفي لغة معظم العرب النهوض والقيام، و"وثب": قعد، والوِثاب: الفراش بلغة حمير، وفي حديث فارعة أخت أمية بن أبي الصلت قالت: قدِمَ أخي من سفر، فوثبَ على سريري؛ أي قعد عليه واستقرَّ[11]. وقصة الملك الحميري في ذلك مشهورة وقد سبق ذكرها.

وأحيانا ينسبون في موضع ويهملون النسبة في موضع آخر، من ذلك كلمة "السُّدْفة" في لغة تميم تعني الظُّلمة، والسُّدفة في لغة قيس الضوء[12]. يقول أبو زيد: "السُّدْفةُ في لغة تميم: الظُّلمة. قال: والسُّدْفة في لغة قيس: الضوء. وحكى الأصمعيُّ: السُّدْفة والسَّدْفة في لغة نجد: الظُّلمة، وفي لغة غيرهم: الضوء، وهو من الأضداد"[13]. وفي موضع آخر يهمل نسبتها، يقول ابن منظور: "وقال أبو عبيدة: أسدف الليل وأزدف وأشدف إذا أرخى ستوره وأظلم، قال: والإسداف من الأضداد، يقال: أسدفْ لنا؛ أي أضئْ لنا. وقال أبو عمرو: إذا كان الرجل قائما بالباب قلتُ له: أسدفِ الباب؛ أي تنحّ عن الباب حتى يضيء البيتُ. الجوهري: أسدف الصبح؛ أي أضاء... وفي لغة هوازن: أسدفوا؛ أي أسرجوا، من السراج. الفراء: السَّدَف والشَّدَف: الظُّلمة، والسَّدف أيضا: الصبح وإقباله"[14].

لكن عند جمْعِ اللغة أغفل العلماء في معظم الأحيان نسبة المعاني إلى قبائلها فظهرت الأضداد، وكثرت جدا حتى صنف فيها العلماء مصنفات مستقلة كالأضداد للأصمعي وأبي حاتم السجستاني وابن السكيت والصغاني والقاسم ابن الأنباري وأبي الطيب اللغوي وغيرهم، وهذه طائفة من الأضداد من لسان العرب لابن منظور، فالنَّبَل يطلق على الإبل الصغيرة والكبيرة، ويطلق أيضا على الجسيم والخسيس[15]، والغابر يطلق على الماضي وعلى الباقي[16]، والتعلة تطلق على ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها[17]، وفرَّعت في الجبل؛ أي انحدرت أو صعدت، والإفراع يطلق على الانحدار وعلى الصعود[18]، والخِنْذيذ يطلق على الخصيّ وعلى الفحلُ[19]، الأشراط يقع على الأشراف وعلى الأرذال[20]، والإهماد يقع على الإقامة وعلى السرعة[21]، والرَّهْو يطلق على السير الخفيف وعلى شدة السير، والرَّهْو والرَّهْوة يطلقان على المكان المنخفض وعلى المكان المرتفع، والرَّهْوةُ تطلق على الارتفاع وعلى الانخفاض[22]، وتهجَّد تأتي بمعنى نام وبمعنى سهر؛

(8) اللسان (ضحح).
(9) لسان العرب (طمم).
(10) اللسان (عدد).
(11) اللسان (وثب).
(12) اللسان (سدف).
(13) اللسان (سدف).
(14) اللسان (سدف).
(15) اللسان (نبل).
(16) اللسان (غبر).
(17) اللسان (تلع).
(18) اللسان (فرع).
(19) اللسان (خنذ).
(20) اللسان (شرط).
(21) اللسان (همد).
(22) اللسان (رهو).

أي تجنب النوم[23]، وعسعس الليل إذا أقبل بظلامه أو أدبر[24]، ونَصَلَ السَّهم إذا ثبت أو خرج[25]، وشريت بمعنى بعت وبمعنى اشتريت[26]، والإفزاع بمعنى الإغاثة وبمعنى الإخافة[27]، والحَوْشَب يطلق على الضامر، وعلى العظيم البطن[28]، وغير ذلك كثير جدا.

المسألة الثانية: كثرة المسميات باسم واحد؛ أعني أن يطلق الاسم الواحد على أشياء كثيرة قد تكون من جنس واحد كالحيوانات وقد تكون من أكثر من جنس، وهذا يدل على أن تلك المسميات تعددت نتيجة تواضع كل قبيلة أو منطقة على إطلاق الاسم على أمر محدد في لهجتم، والأمثلة على ذلك كثيرة، واللغويون أغفلوا نسبة تلك المسميات إلى قبائلها وصرحوا بها في مواضع قليلة، من ذلك أن عبد القيس تطلق "السّخين" على المسحاة المنعطفة، وتطلق عند غيرهم على السكين، وعند آخرين على سكين الجزار خاصة[29]، ومن ذلك مثلا كلمة "العنز"، فهي تطلق على المسميات الآتية: الماعزة؛ وهي الأنثى من المعزى والأوعال والظّباء/ ضربٌ من السّمك/ طائر من طيور الماء/العُقاب/ أنثى الصقر/ أنثى النسر/ الباطل/ الأَكَمَةُ السوداء/ القارّة السوداء/ صخرةٌ في الماء/ أرض ذات حزونة وحجارة ورمال وأثل/ ضرب من السّباع[30].

- الدَّعْلَج: اسم يطلق على المسميات الآتية: الحمار/ والذئب/ والشاب الحسن/ والجوالق/ وألوان الثياب/ والنبات الذي آزر بعضه بعضا/ والظلام/ والشخص الذي يمشي بغير حاجة/ الشخص الذي يذهب ويأتي/ والكثير الأكل من الإنسان والحيوان وغير ذلك[31].
- الشَّقذ، اسم يطلق على المسميات الآتية: الذئب/ والصقر/ والحرباء/ وفراخ الحبارى/ وفراخ القطا/ والحشرات[32].
- الدَّوْبَل: اسم يطلق على ولد الحمار أ والحمار الصغير/ والذئب/ وذكر الخنزير[33].

ومن غير المنطقي أن تطلق قبيلة واحدة اسما واحدا من الأسماء السابقة على كل هذه المسميات التي تليه، بل كل قبيلة تسميه به حيوانا واحدا، فمن يطلقه "الدعلج" على الذئب لا يطلقه على الحمار، ومن يطلق "الشَّقْذ" على الذئب لا يطلقه على الحشرات، ومن يطلق "العنز" على أنثى الماعز أو الظباء لا يطلقه على العقاب أو أنثى الصقر أو على الباطل. وهذا نوع من الازدواجية اللغوية على المستوى الدلالي.

المسألة الثالثة: تعدد دلالات الكلمة الواحدة؛ أعني بذلك أن الكلمة الواحدة بلفظها تكون عند أهل البادية بمعنى وعند أهل الحاضرة بمعنى آخر، وتكون عند قريش بمعنى وعند قيس أو غيرها بمعنى آخر، وتكون بمعنى مختلف تماما في اليمن، وهكذا دواليك، ومن ذلك مثلا كلمة "عَجَل" في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ {الأنبياء: 37}، وفي عربية اليمن الجنوبية بمعنى الطين[34]. وقد أهمل اللغويون نسبة دلالات معظم الكلمات، ونسبوا كثيرا منها إلى قبائلها، ومن ذلك مثلا قول ابن منظور: "رمخ هو السَّدا والسَّداء بلغة أهل المدينة، وهو السَّيَاب بلغة وادي القُرى، وهو الرُّمْخ[35] بلغة طيئ، واحدته رُمْخة، والخَلال بلغة أهل البصرة"[36]. وقوله: "فأما العُرُبُ فجمع عروب؛ وهي المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها... وقيل: هي الشَّكلات بلغة أهل مكة، والمَغْنُوجات بلغة أهل المدينة"[37]. وقوله: "التَّلَم: مشقُّ الكِراب في الأرض بلغة أهل اليمن وأهل الغَور ...والعَنَفة: ما بين الخطين، والسَّخْل: الخطُّ بلغة نجران"[38]. وقوله: "قال شمر: الأَثْلَبُ بلغة الحجاز: الحجر، وبلغة بني تميم: التراب"[39]. وقوله: "الجَرين: موضع البيدر بلغة اليمن وعامتهم يكسرون الجيم...

(23) اللسان (هجد).
(24) اللسان (عسس).
(25) اللسان (نصل).
(26) اللسان (شري).
(27) اللسان (فزع).
(28) اللسان (حشب).
(29) اللسان (سخن).
(30) اللسان (عنز).
(31) اللسان (دعلج).
(32) اللسان (شقذ).
(33) اللسان (دبل).
(34) اللسان (عجل).
(35) أي البلح.
(36) اللسان (رمخ، سيب).
(37) اللسان (عرب).
(38) اللسان (تلم).
(39) اللسان (ثلب).

والجَرين: الطِّحنُ بلغة هذيل. والجُرْنُ: حَجَر منقور يصب فيه الماء للوضوء ويسميه أهل المدينة المِهراس"[40]. وقوله: "الدِّمدم: أصول الصِّلِّيان المُحيل في لغة بني أسد، وهو في لغة تميم: الدِّنْدِن"[41]. وقوله: "اللُّجُّ: السيف بلغة طيئ. وقال شمر: قال بعضهم: اللُّجُّ: السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن"[42]. وقوله: "والحَوْفُ بلغة أهل الحَوْف وأهل الشحر كالهودج ... وقال ابن الأعرابي: هو جلدٌ تلبسه الجارية صغيرة أو وهي حائض وهي حجازية، وهي الرَّهْطُ، نجدية[43]. وقوله: "الجُنْبُخُ: الضَّخمُ بلغة مصر، والطويل بلغة غيرهم[44]. وقوله: "البَرْخُ: الكبير الرخيص، عمانية، وقيل: هي بالعبرانية أو السريانية... والتبريخ: التبريك، قال:

وَلَوْ يُقالُ: بَرِّخُوا لَبَرَّخُوا لِمارِ سَرْجِيسَ، وَقَدْ تَدَخْدَخُوا

أي: ذلُّوا وخضعوا. برّخوا: برّكوا، بالنبطية، وقال غيره: برّخوا؛ أي اجعلوا لنا شِقْصاً، وأصله بالفارسية البَرْخُ، وهو النصيب... البَرْخُ: أن تقطع بعض اللحم بالسيف. والبَرْخُ الحرب. والبَرْخُ: الجَرْف، بلغة عمان"[45]. ومن ذلك كلمة "الزَّفن" فهي تعني الرقص، وأصل الزفن: اللعب والدفع، لكنها بلغة عمان ظُلَّةٌ يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم حر البحر ورطوبته، وهي بلغة الأزد عسيب من عُسب النخل يُضمُّ بعضه إلى بعض شبيهٌ بالحصير المرمول[46]. ومن ذلك كلمة "السِّجِّين"، فهي بمعنى الشديد، لكنها بلغة أهل البحرين تعني السّلْتين؛ والسِّلْتين من النخل التي لا يصل إليها الماء فيُحفر في أصولها حفر تجذب الماء إليها، يقال: سَجِّن جِذْعك إذا أردت أن تجعله سلتيناً"[47]. ومن ذلك كلمة "العانة"، فهي الشعر النابت حول الفرج، لكنها بمعنى الحظُّ من الماء للأرض بلغة عبد القيس، والعوانة: النخلة في لغة أهل عمان[48]. ومن ذلك كلمة "العَرِم" تعني السيل، لكنها بلغة اليمن: المُسَنَّاة[49].

وكذلك وجدنا في المعاجم عبارات كثيرة تفيد بأن هذا المعنى خاص بهذه القبيلة أو المنطقة[50]، أو أنَّ غيرهم لا يعرف هذا المعنى[51] أو ما إلى ذلك من عبارات تنسب دلالة محددة إلى القبيلة التي حمَّلتها تلك الدلالة، ومن ذلك مثلا قول ابن منظور: "وأهل الحجاز إذا أطلقوا اللفظ بالطعام عنوا به البُرَّ خاصةً"[52]. وقوله: "الجحمة: العينُ... قال ابن سيده: بلغة أهل اليمن خاصة"[53]. وقوله في تفسير "الحُقُب: "ومنهم من خصص به لغة قيس خاصة"[54]. وقوله: "والعريض عند أهل الحجاز خاصة: الخَصِيُّ"[55].

كذلك وجدنا لقبائل أو مناطق دلالات خاصة لكثير من الكلمات من دون إشارة إلى أنها خاصة بهم، مع أن الدلالة خاصة بها، فما دامت هذه القبيلة أو تلك تستعمل كلمةً لدلالة محددة مختلفة عن القبائل الأخرى فهي خاصة بها حكما، والشواهد على ذلك كثيرة جدا، ومن ذلك مثلا: "الحَمَاطةُ بلغة هذيل شجرٌ عِظام تنبت في بلادهم تألفها الحيّات"[56]. و"الرَّكْلُ: الكُرَّاث بلغة عبد القيس"[57]. و"العَتيل: الأجيرُ بلغة جديلة طيئ"[58]. و"الثِّلْبُ: الشيخُ، هذليَّة"[59]. و"الفَدَاء: الكُدْس مِنَ البُرِّ، وقيل: هو مَسْطَحُ التَّمْرِ بلغة عبد القيس"[60]. و"المَطْوُ: الشِّمراخ، بلغة بَلْحَرثِ بْنِ كَعْبٍ، وَكَذَلِكَ التَّمطِيةُ، وَالْجَمْعُ مِطاء، والمَطا، مَقْصُورٌ: لُغَةٌ فِيهِ"[61]. و"القِتْرُ، بالكسر،

(40) اللسان (جرن).
(41) اللسان (دمم).
(42) اللسان (لجج).
(43) اللسان (حوف).
(44) اللسان (جنبخ).
(45) اللسان (برخ).
(46) اللسان (زفن).
(47) اللسان (سجن).
(48) اللسان (عون).
(49) اللسان (لحن).
(50) اللسان (جحم).
(51) اللسان (ضحج).
(52) اللسان (طعم).
(53) اللسان (جحم).
(54) اللسان (حقب).
(55) اللسان (عرض).
(56) اللسان (حطم).
(57) اللسان (ركل).
(58) اللسان (عتل).
(59) اللسان (ثلب).
(60) اللسان (فدى).
(61) اللسان (مطو).

ضربٌ من النِّصالِ، نَحْوٌ مِنَ المَرْماة وهي سَهْمُ الهدف، وقال اللَّيْثُ: هي الأَقْتار وهي سِهام صِغَارٌ؛ يُقالُ: أُغاليك إِلى عَشَرٍ أَو أَقلّ، وذلك القِتْرُ، بلغة هذيل"[62]. و"الكَحْبُ بلغة أهل اليمن: العورةُ"[63]. و"الشَّلْحاءُ: السيف بلغة أهل الشَّحر وهي بأقصى اليمن"[64]. و "المَعاذير السُّتور بِلُغَةِ الْيَمَنِ، وَاحِدُهَا مِعْذارٌ؛ أَي ولو أَلْقى مَعاذِيرَهُ"[65]. و"الهِجار: طَوْقُ المَلِكِ، بِلُغَةِ حِمْيَر"[66]. و"البَزْخُ: الجَرْف بلغة عمان"[67]. و"الدُّرَّاقن: الخَوخُ بلغة أهل الشام"[68]. و"الإِجَّارُ: السَّطح، بلغة الشَّام والحجاز"[69]. و"الوَهينُ بلغة من يلي مصر من العرب وفي التهذيب بلغة أهل مصر: الرجلُ يكون مع الأجير يحثه على العمل"[70].

كذلك وجدنا إشارات للغويين إلى اختلاف دلالات الكلمة عند قبيلة محددة وعند غيرها، ومن ذلك مثلا: الأصلِج بلغة بعض قيس: الأصلع، وبلغة غيرهم الأصمّ[71]. وكلمة الصائد، فهي اسم فاعل يدل على من قام بالصيد، لكنها بلغة أهل اليمن: السَّاقُ[72]. وكلمة السَّخاخين: المساحي بلغة عبد القيس، واحدته سِخِّينة؛ وهي السكين بلغة غيرهم، والسخاخين: سكاكين الجزار[73]. وكلمة العَنَج، فهي بمعنى جماعة الناس، وفي لغة هذيل: الرجل[74]. وكلمة "القُشْعُر"، فهي بمعنى الرعدة والتقبُّض، لكن بلغة أهل الحوف من اليمن معناها: القِثَّاء"[75]. وكلمة "الكَدَّاش" فالكدش بمعنى الطرد والإبعاد لكن بلغة أهل العراق بمعنى المُكدِّي، وكدش لعياله: كسب وجمع واحتال، ورجلٌ كدَّاش: كسّاب[76]. وكلمة "العجان"، فهي تعني: الدبر، وقيل ما بين الفرج والدبر، وهو العنق بلغة أهل اليمن[77]. وثمة إشارات يسيرة إلى الدلالة الخاصة من بين دلالات متعددة، ومن ذلك مثلاً:

- كلمة القَبْقاب، فهي تعني: الجمل الهدّار/ الرجل الكثير الكلام/ الكذّاب/ الخَرَزة التي تُصقل بها الثياب/ والنعل المتخذة من خشب بلغة أهل اليمن/ والفَرْج[78].
- وكلمة الخَوْخَة، فهي تعني: الثمرة المعروفة/ كوَّة في البيت تؤدي إليه الضوءَ/مخترق ما بين كل دارين لم يُنصب عليها بابٌ، بلغة أهل الحجاز/ الباب الصغير بين بيتين، قال الليث: وناسٌ يسمون هذه الأبواب التي تسميها العجم بنَحْرِقات خوخاتٍ./الدُّبر/ضرب من الثياب أخضر يسميه أهل مكة الخَوْخَة[79].
- وكلمة "القضيم" فهي تعني: الجلد الأبيض يُكتب فيه/الصحيفة البيضاء/ النِّطع/ العيبة/ حصير منسوجٌ خيوطُه سيورٌ بلغة أهل الحجاز[80].
- وكلمة "الزَّرَجُون: الماءُ الصافي يستنقعُ في الجبل، عربي صحيحٌ. والزَّرَجون، بالتحريك: الكرْمُ... قال الأصمعيُّ: هي فارسية معربة؛ أي لون الذهب. وقيل: هو صبغ أحمر، قاله الجرمي. وقيل: الزَّرَجون: قُضبان الكرْم بلغة أهل الطائف وأهل الغور"[81].

إضافة إلى الإشارة إلى الدخيل أو المعرب من لغات أخرى نحو قول ابن منظور: "البِطْريقُ بلغة أهل الشام والروم هو القائد، معرَّب ... ويقال: إن البطريق عربيٌّ وافق العجمي، وهي لغة أهل الحجاز"[82]. وقوله: "الدَّكِيضَضُ: نَهْرٌ، بلغة الهند"[83]. وغير ذلك كثير.

(62) اللسان (قتر).
(63) اللسان (كحب).
(64) اللسان (شلج).
(65) اللسان (عذر).
(66) اللسان (قور).
(67) اللسان (بزخ).
(68) اللسان (درقن).
(69) اللسان (أجر).
(70) اللسان (وهن).
(71) اللسان (صلج).
(72) اللسان (صيد).
(73) اللسان (سخن).
(74) اللسان (عنج).
(75) اللسان (قشعر).
(76) اللسان (كدش).
(77) اللسان (عجن).
(78) اللسان (قبب).
(79) اللسان (خوخ).
(80) اللسان (قضم).
(81) اللسان (زرجن).

إنَّ نسبة دلالات الكلمات كلها إلى القبائل ربما كان متعذرا عند جمع اللغة لاختلاط لغات القبائل وتأخُّر زمن جمعها، وربما كان إهمالها متعمدا من اللغويين أنفسهم أو بالأحرى لم يكونوا يعنون بها كثيرا؛ لذلك ينسبون أحيانا ويهملون النسبة أحيانا أخرى، من ذلك مثلا قول ابن منظور: "والمُشيخُ في لغة هذيل: المجدُّ"[84]. وفي موضع آخر يطلق الدلالة من غير نسبة، يقول: "والمُشيخُ: المُجدُّ، وقال ابن الإطنابة:

وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامةَ البطل المُشيح"[85].

ومن ذلك أيضا قوله في موضع: "الفِلاطُ: الفجاءة"[86]. وفي موضع آخر: "الفِلاط: الفَجاءة، لغة هذيل. لقيته فَلَطاً وفِلاطاً: أي فجأة، هذليةٌ، وقال المتنخل الهذلي:

بهِ أحمي المضاف إذا دعاني ونفسي ساعة الفزَعِ الفِلاط"[87].

لكن تعدد الدلالات -وإن كان من غير نسبة- يشير بوضوح إلى أن كل قبيلة كانت تستعمل الكلمة لمعنى واحد أو أكثر، ولا يمكن أن تستعملها لعشرات المعاني؛ لأن ذلك يؤدي إلى اللبس ونقض غرض الكلام الأساسي المتمثل في التعبير بوضوحٍ وجلاءٍ عن الأفكار والمعاني والأغراض في غير مواضع الإلغاز، ولو كانت هناك معاجم متخصصة بلغات القبائل أو أن العلماء نسبوا استعمال الكلمة إلى القبيلة التي تستعملها لكانت الازدواجية اللغوية على المستوى الدلالي أكثر وضوحا وبروزا، ولكن مع ذلك لا يعدم الباحث من الوقوف على شواهد كثيرة في المعاجم نسبت إلى قبائلها كما أسلفت، وسأورد بعض دلالات الكلمات التي نُسبت إلى هذيل في معجم "لسان العرب" لابن منظور، وتفرّدت بها، وبعضها صرّح العلماء بأن غير هذه القبيلة لا يعرفها بهذا المعنى[88]، مع ما يقابلها من دلالة عامة في العربية: المفرم من الحياض: المملوء بالماء[89]. المُشيح: المُجدّ[90]. الفِلاط: الفجاءة[91]. الخَموش: البعوض[92]. الحِساب: الجماعة، يقال: أتاني حِساب من الناس؛ أي جماعة كثيرة[93]. العَدِيُّ: جماعة القوم[94]. السِّبّ: الحبل[95]. الغَنَج: الرجلُ وقيل الشيخ[96]. السَّبَنْدَى والسَّبَنْتِي: الطويل[97]. ضحضاح: كثير، قال ابن منظور: لا يعرفها غيرهم[98]. سخَّلت الرجل إذا عبته وضعَّفته[99]. الصَّوْمُ: شجرٌ في لغة هذيل[100]. الليث في لغة هذيل: اللَّسِنُ الجَدِلُ[101]. الحَمْز: التحديد[102]. المُنحرد: المنفرد في لغة هذيل[103]. السِّيد: الذئب، وفي لغة هذيل: الأسد[104]. السِّرْحانُ والسِّيدُ: الأَسَدُ بلغة هذيل[105]. متى في لغة هذيل بمعنى مِن[106]. السنائع في لغة هذيل: الطرق في الجبال[107]. العزم: الصبر في

(82) اللسان (بطرق).
(83) اللسان (دكض).
(84) اللسان (بعض).
(85) اللسان (شيح).
(86) اللسان (سرط).
(87) اللسان (فلط).
(88) اللسان (ضحح)
(89) اللسان (فرم).
(90) اللسان (بعض).
(91) اللسان (فلط).
(92) اللسان (خمش).
(93) اللسان (حسب).
(94) اللسان (عدا).
(95) اللسان (سبب).
(96) اللسان (غنج).
(97) اللسان (سبد).
(98) اللسان (ضحح).
(99) اللسان (سخل).
(100) اللسان (صوم).
(101) اللسان (ليث).
(102) اللسان (حمز).
(103) اللسان (حرد).
(104) اللسان (سيد).
(105) اللسان (سرح).
(106) اللسان (متى).

لغة هذيل، يقولون: ما لي عنك عزم؛ أي صبرٌ[108]. العوّاء: الناب من الإبل، ممدودة، وقيل: هي في لغة هذيل الناب الكبيرة التي لا سنام لها[109]. الجرين: المِلّحن بلغة هذيل[110]. المِلاح: المِخلاة بلغة هذيل[111]. الخَزومة: البقرة بلغة هذيل[112]. أَعْثَقَت الأَرضُ إذا أَخصبت[113]. اللُّجُّ السيف بلغة طيّئ؛ ونقل شمر عن بعضهم: اللُّجُّ: السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن[114]. هلك بمعنى باع، جاء في بعض أخبار هذيل أن حبيبا الهذلي قال لمعقل بن خُويلد: ارجع إلى قومك. قال: كيف أصنعُ بإبلي؟ قال: أهلكْها؛ أي بعْها[115]. فضلا عن كلمات أخرى كثيرة نسبت إلى قبائل بعينها، ومن ذلك مثلا: الطَّرْق: النخلة في لغة طيئ[116]. يئست بمعنى علمت لغة هوازن، وقال الكلبي وابن جني: هي لغة وَهْبيل حي من النّخع[117].

وعلى كل حال تتبيّن مما سبق الازدواجية اللغوية على المستوى الدلالي منذ ما قبل الإسلام وزادت بعده ولا سيما في القرن الأول الهجري؛ وذلك لتحميل كلمات كثيرة جدا دلالات جديدة تعبر عن المعاني والقيم ونظم الحياة التي جاء بها الإسلام، كالصلاة والصيام والقيام والزكاة والجهاد والإيمان والكفر والشرك والإحسان والإفلاس والتهجد والغيبة والنميمة والنفاق وغير ذلك، فكلمة "الزَّقّوم" كانت تدل على نوع من الطعام مكون من التمر والزُّبْد، فلما نزلت آية الزقوم لم تعرفه قريش، فقال أبو جهل: إن هذا لشجرٌ ما ينبت في بلادنا، فمن منكم يعرف الزقوم؟ فقال رجلٌ من إفريقية: الزقوم بلغتنا هو الزُّبْد بالتمر. فقال أبو جهل: يا جاريةُ، هاتي لنا تمرا وزُبْدا نزدقمه، فجعلوا يأكلون منه ويقولون: أفبهذا يخوفنا محمدٌ في الآخرة؟ أما الإسلام فحملها دلالة جديدة، وجعلها طعاما خاصا لأهل النار ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ {الدخان: 43-44}[118]. ومن ذلك مثلا أن النبي ﷺ كان يحمّل الألفاظ دلالات جديدة لتعبر عن الدين الجديد، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل أصحابه: أتدرون من المفلسُ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهمَ له ولا متاع. فقال: إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار[119]. ومن ذلك ما روي عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد ثم نظر إلينا، فقال: أما والله ليدعنَّها أهلها مزلَّلة أربعين عاما للعوافي. أتدرون ما العوافي؟ الطيرُ والسِّباعُ[120]. ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرُك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه[121].

وفي القرآن الكريم كلمات كثيرة نسبها المفسرون واللغويون إلى قبائل بعينها تستعملها لمعانٍ مختلفة عما هو في الفصحى الموحدة، وأفردت لها كتبٌ مستقلة منذ القديم مثل "اللغات في القرآن" لابن عباس، ولغات القرآن للفراء، وكتب غريب القرآن، وغير ذلك، وسأورد أمثلة من كتاب ابن عباس مكتفيا بذكر المعنى الذي تفردت به القبيلة معزوا إليها، دون التعرض لبقية المعاني تجنبا لذكر ما لا داعي له، ولأن المعاجم قد ذكرته واستطردت بتفصيله، ومن ذلك مثلا في[122]:

1. لغة قريش: الأماني: الأباطيل. وَسَط: عدل. الجنف: تعمُّد الحيف. القيّوم: القائم. السبيل: المخرج. المسافحة: الزنا. الموالي: العُصبة. السَّلَم: الصُّلح. مَخْمَصة: مجاعة. عثر: اطّلعَ. تأسى: تحزن. آسى: أحزن. يصدف: يُعرض. الحَرَج: الشكّ. يتطهّر: يتنزّه.

(107) اللسان (سنع).
(108) اللسان (عزم).
(109) اللسان (عوي).
(110) اللسان (جرن).
(111) اللسان (ملح).
(112) اللسان (خزم).
(113) اللسان (عثق).
(114) اللسان (لجج).
(115) اللسان (هلك).
(116) اللسان (طرق).
(117) المحتسب 357/1، واللسان (يأس).
(118) اللسان (زقم).
(119) صحيح مسلم برقم (2581).
(120) فتح الباري 108/4.
(121) صحيح مسلم برقم (2589).
(122) اللغات في القرآن ص19-50. وأحيل الكلمة أحيانا إلى الصفحة لتيسير العودة إليها.

ثقُل: خفي. رِجز: تخويف[123]. يُثبت: يحبس. المكاء: التصفير. التصدية: التصفيق. يركُم: يجمع. الذّمّة: القرابة. تتبيب: تحيُّر. أفئدة: ركبان. احتنك: استأصل. دلوك الشمس: زوالها وقيل بلغة هذيل[124]. الينبوع: النهر. باخع: قاتل. إمراً: عجبا. الحفيّ: العالم. الوِرْد: العطاش. العتيّ: عظم الافتراء. رِكز: صوت. الهضْم: النقص وكذلك بلغة هذيل. الحسيس: الجلبة. الحصَب: الحطب[125]. الأُمنيّة: الفكرة. الشرف: الذِّكر. استكانوا: استذلوا. يأتلي: يحلف. اخسؤوا: اصبروا وبلغة عذرة أبعدوا. حِجرا محجورا: حراما محرّما. أوزعني: ألْهِمْني. واصب: دائم. الإفك: الكذب. حاق: وجب. صِحاف: قِصاع. ارتقب: انتظر. ذو مِرّة: ذو قوة. نزلة: تقريب. مستمرّ: ذاهب. مدّكر: متفكّر. {تميّز من الغيظ}: تمزّق. المناكب: النواحي.

2. لغة كنانة: السفيه: الجاهل. خاسئ: صاغر. شطر: تلقاء. خلاق: نصيب. الضعيف: الأحمق. الحصور: الذي لا حاجة له في النساء. المُعجز: السابق، وكل معجز سابق بلغة كنانة[126]. تنفرون: تغزون[127]. تأسى: تحزن[128]. يعزب: يغيب. تركنوا: تميلوا. سرابيل: دروع. فحوة: ناحية. الضِّد: الخصم. مبلس: آيس. السرد: المسمار. الدحور: الطرد، مدحور: مطرود.[129] {تولى بركنه}: برهطه[130]. بُسّت: فتّت. الغِلّ: الغِشّ[131].
3. لغة هذيل: اشترى: باع. الصلد: الأجرد. آيات: ساعات. ملوك: أحرار، وكذلك بلغة كنانة. مدرار: متتابع. السوء: الجنون. الفرقان: المخرج. حرّض: حرّص. وليجة: بطانة. عَيْلة: فاقة. السائح: الصائم. سائحات: صائمات[132]. العنت: الإثم[133]. الغمّة: الشبهة. مُفرطون: متركون. جاسوا: تخللوا. المبذرون: المسرفون. رجما بالغيب: ظنا. ملتحد: ملجأ. يرجو: يخاف. هامدة: مغبرّة. ثاقب: مضيء. البال: الحال. الذَّنوب: النصيب[134]. يهجع: ينام. دُسُر: مسامير. الأمد: الأجل. تفوُّت: عيب. الأرجاء: النواحي. أطوار: ألوان.
4. لغة تميم: البغي: الحسَد. أمَة: نسيان، وكذلك بلغة قيس عيلان {وادّكر بعد أمَة}. اشمأزّت: مالت، وكذلك بلغة أشعر[135]. المقشعرّ: الخاشع. يخرصون: يكذبون.
5. لغة طيئ: الرَّغَد: الخَصب. الرِّجز: العذاب، وقيل هو كذلك بلغة هذيل. سَفِه: خسِر. ينعق: يصيح. عزَمَ: حقَّقَ. ياسين: يا إنسان[136].
6. لغة قيس عيلان: نِحلة: فريضة. حَرَج: ضِيق. خاصر: مضيّع. الصياصي: الحصون[137]. رجيم: ملعون. تُحبر: تُكرم، وكذلك بلغة بني حنيفة. لا يلتكم: لا ينقصكم[138]. المهيمن: الشاهد[139].
7. لغة جرهم: شقاق: ضلال. الخير: المال. تغنى: تنعم. الأساطير: الكلام. شرّد: نكّل. الأراذل: السفلة. المحسور: المنقطع. الودق: المطر. شرذمة: عصابة. رِبع: طريق. شَوب: مزج. باء: استوجب. الدأب: الشّبَه. عصيب: شديد. الشاكلة: الحياكة. حدَب: جانب. القِطر: النحاس. الأنام: الخلق.
8. لغة أزد شنوءة: العضْل: الحبس، تعضلون: تحبسون. أصحاب الرسّ: أصحاب البنين[140]. كاظم: مكروب. غِسلين: الحار الذي قد انتهت شدّته.

---

(123) اللغات في القرآن ص28

(124) اللغات في القرآن ص34.

(125) اللغات في القرآن ص37.

(126) اللغات في القرآن ص29.

(127) اللغات في القرآن ص29.

(128) اللغات في القرآن ص30.

(129) اللغات في القرآن ص41.

(130) اللغات في القرآن ص46.

(131) اللغات في القرآن ص49.

(132) اللغات في القرآن ص30.

(133) ونسبه إلى قريش أيضا في سورة الحجرات: لعنتم: لأثمتم بلغة قريش. اللغات في القرآن ص45.

(134) اللغات في القرآن ص46.

(135) اللغات في القرآن ص43.

(136) اللغات في القرآن ص41.

(137) اللغات في القرآن ص40.

(138) اللغات في القرآن ص45 ونسبها لحمير ص47.

(139) اللغات في القرآن ص49.

(140) اللغات في القرآن ص39.

9. لغات أخرى مثل لغة مذحج: رفَث: جِماع. مُقيت: قدير. الوصيد: الفناء. كبتوا: لُعنوا. الخرطوم: الأنف. ومن ذلك في لغة كندة: أبرح: أزول. أو: بل[141]. مدين: مبعوث[142]. ومن ذلك في لغة أنمار: طائر: عمل. ومن لغة مزينة: لا تغلوا: لا تزيدوا. ومن لغة بني حنيفة: الجناح: اليد، والرَّهَب: الكُمّ[143]. ومن ذلك في لغة خثعم: شطط: كذب. الواقي: المانع. ومن ذلك في لغة دوس: تبتئس: تحزن. ومن ذلك في لغة حضرموت: لغوب: إعياء. ومن ذلك بلغة سعد العشيرة: الحفدة: الأختان[144]. {كَلّ على مولاه}؛ أي عيالٌ. وكذلك بلغة قريش[145]. ومن ذلك بلغة عمان: الصاعقة: الموت. الخبال: الغيّ. النَّفق: السرب. البوار: الهلاك. بور: هلكى[146]. أصاب: أراد، وكذلك بلغة الأزد[147]. ومن ذلك في لغة لخم: العلو: القهر. من لغة الأوس: لِينة: النخل[148]. ومن لغة الخزرج: انفضّ: ذهب[149]. ومن ذلك في لغة أهل اليمامة: حصِرت: ضاقت. ومن ذلك في لغة سبأ: تميل: تخطئ. تبّر: أهلك. ومن ذلك في لغة خزاعة: أفاض: نفَرَ، وكذلك في لغة عامر بن صعصعة. الإفضاء: الجِماع. ومن ذلك في لغة مَدين: افرُق: اقضِ. الحليم الرشيد: الأحمق السفيه. الخير: الخصب. ومن ذلك في لغة لخم: إملاق: جوع. ومن ذلك في لغة ثقيف: طيف: لَمّة. ومن ذلك في لغة غسان: طفق: عمد. بئيس: شديد. سيء: كرِه. سُعُر: جنون.

وثمة كلمات مشتركة بين قبيلتين أو أكثر نحو: الفَور: الوجوه بلغة هذيل وقيس عيلان وكنانة. تَهِنُون: تضعفون بلغة قريش وكنانة. الملوك: الأحرار بلغة هذيل وكنانة. حنيذ: ما يُشوى بخدٍّ في الأرض بلغة العمالقة وما يشوى بحجارة بلغة هذيل. اخسؤوا: بمعنى أبعدوا بلغة عذرة، وبمعنى اصبروا بلغة قريش[150]. منسأة: عصا بلغة حضرموت وخثعم وأنمار. الأجداث: القبور بلغة قريش وهذيل. أوّاب: مطيع بلغة كنانة وهذيل وقيس عيلان[151]. الأحقاف: الرمل بلغة حضرموت وتغلب[152]. الخراصون: الكذابون بلغة كنانة وقيس عيلان[153]. سَجَرَ: ملأ، بلغة عامر بن صعصعة، وبمعنى جمع بلغة خثعم.

10. لغة حمير: السيّد: الحليم. الفشل: الجُبن. السفاهة: الجنون[154]. زيّل: ميّز. مرجوّ: حقير[155]. الحمأ: الطين. المسنون: المنتن[156]. ينغصون: يحركون. {حُسبانا من السماء}: بَرَداً. المرض: الزنا. بعل: ربّ. المعكوف: المحبوس. جبّار: مسلّط. قاتل: لعن. زعم: كذب. رابية: شديدة. لبات: لا بأس[157]. الجحمة: العين. القِلَّوْب: الذئب[158]. ومن معجم "لسان العرب" وجدت عشرات الكلمات الحميرية، ومن ذلك: المِلْقاط: القلم[159]. المبلَّت: المهر المضمون[160]. امرأة بيدخة: تارّة[161]. الشِّخاف: اللّبن. الخَميت: السمين[162]، العِلَّوش: الذئب[163]. الفرسك: الخوخ. الكُعْسوم: الحمار[164]. البظْر: الخاتم[165]. الشَّشْقلة: الوزن[166]. بِلّ: مباح[167]. الشناتر: الأصابع[168]. الجحمة: العين[169]. السُّمود: الغِنَاءُ[170].

(141) اللغات في القرآن ص42.
(142) اللغات في القرآن ص48.
(143) اللغات في القرآن ص40.
(144) اللغات في القرآن ص33.
(145) اللغات في القرآن ص33 وحاشيته.
(146) اللغات في القرآن ص39.
(147) اللغات في القرآن ص42.
(148) اللغات في القرآن ص48.
(149) اللغات في القرآن ص49.
(150) اللغات في القرآن ص39.
(151) اللغات في القرآن ص42.
(152) اللغات في القرآن ص45.
(153) اللغات في القرآن ص46.
(154) اللغات في القرآن ص27.
(155) اللغات في القرآن ص31.
(156) اللغات في القرآن ص33.
(157) اللسان (لبت).
(158) اللسان (جحم).
(159) اللسان (لقط).
(160) اللسان (بلت).
(161) اللسان (بدخ).
(162) اللسان (خمت).
(163) اللسان (علش).

مما سبق تتبين لنا الازدواجية اللغوية منذ ما قبل الإسلام وبعده على المستوى الدلالي في مظهر تعدد دلالات الكلمة الواحدة عند القبائل والمناطق العربية حتى تصل إلى درجة التضاد فيما بينها.

المظهر الثاني: تعدد الألفاظ الدالة على المعنى الواحد

تتبين الازدواجية اللغوية في القرن الأول الهجري وقبله في الاختلاف بين لهجات القبائل على المستوى المعجمي، فقبيلة تستعمل لفظا للتعبير عن معنى، وقبيلة أخرى تستعمل لفظا آخر للتعبير عن المعنى نفسه، أو تطلق على اسما على مسمى، وتطلق قبيلة أخرى اسما آخر على المسمى نفسه، ويتجلى هذا المظهر بوضوح في مسألتين:

المسألة الأولى: كثرة الأسماء للمسمَّى الواحد، والمراد به هنا أن الشيء الواحد تطلق عليه أسماء كثيرة جدا، ومن ذلك أسماء الأسد والذئب والناقة والفرس وغير ذلك، وليس هذا ترادفا، بل تعدد أسماء، ومن ذلك مثلا: القمح لغة شامية، والحنطة كوفية، والبُر حجازية[171]، وكذلك: السكين في لغة قريش، والمدية في لغة خيبر والأزد[172]، والشَّلْطُ بلغة أهل الحوف[173]، والصَّلْت والصُّلْتُ بلغة غيرهم، والخَنْجر والخِنْجر بلغة آخرين، والخَيْفة بلغة آخرين[174]، والشِّلْفاء بلغة آخرين[175]، والبَرَّاءَة والمِبْرَاة[176]، السِّخِّينة، والسخاخين: سكاكين الجزار[177]. وإناء الفخار تسميه قريش واليمن بُرمة[178]، ويسميه غيرهم القِدْر. ونقل ابن منظور عن شمر قوله: "تسمّى الريحُ الجنوبُ بلغة هذيل النُّعامى[179]، وهي الأزيبُ أيضا، وبعضهم يسميها مِسْعاً، وقال بعض أهل الحجاز: يُسْعٌ"[180]. وفي موضع آخر ينقل عن شمر أيضا: "هذيل تسمي الجَنوب مِسْعاً، وسمعت بعض الحجازيين يقول: هو يُسْعٌ. وغيرهم يقول: هو نِسْعٌ"[181]. وكذلك تسميها هذيل الأزيب[182]، ويسميها بعض العرب مَحْوَة[183]، والمَرِيسيَّة[184]، والأُوار[185]، والإِيْر[186]، والسُّلامى؛ يقول ابن منظور: "والسُلامى: الجَنوب من الرياح، قال ابن هَرْمة:

مَرَتْهُ السُّلامى فاستهلَّ ولم تكنْ لتنهضَ إلا بالنُّعامى حواملُهْ"[187].

ومن ذلك أيضا يسمى البيت فوق البيت عند قريش عِلِّيّة[188]، وعند العراق غرفة، وعند الشام دورا أو طابقا. "والحَضيرة: موضع التمر، وأهل الفلج يسمونها الصُّوبة، وتسمى أيضا الجُرْن والجَرِين"[189]. و"العواهن: السَّعَفاتُ اللواتي يَلِينَ القِلَبة في لغة أهل

(164) اللسان (كعسم).
(165) اللسان (بظر).
(166) اللسان (ششقل).
(167) اللسان (بلل، حلل).
(168) اللسان (بظر، شنتر).
(169) اللسان (جحم).
(170) اللسان (سمد).
(171) البيان والتبيين 39/1.
(172) اللسان (سكن).
(173) اللسان (شلط).
(174) اللسان (خيف).
(175) اللسان (شلف، سخن).
(176) اللسان (برى).
(177) اللسان (سخن).
(178) اللسان (برم).
(179) اللسان (نعم).
(180) اللسان (يسع).
(181) اللسان (نسع).
(182) اللسان (زيب).
(183) اللسان (رجج).
(184) اللسان (مرس).
(185) اللسان (أور).
(186) اللسان (أير).
(187) اللسان (سلم).
(188) اللسان (علا).

الحجاز، وهي التي يسميها أهل نجدٍ الخوافي"[190]. "والمِربدُ أيضا موضع التمر مثل الجرين، فالمِربدُ بلغة أهل الحجاز والجَرين لهم أيضاً، والأندر لأهل الشام، والبيدر لأهل العراق. قال الجوهري: وأهل المدينة يسمون الموضع الذي يُجفف فيه التمر ليُنشَّف مِربدا، وهو المِسطح والجرين في لغة أهل نجد، والمِربدُ للتمر كالبيدر للحِنطة"[191]. "والغَرِيفَةُ: النعْلُ بلغة بني أَسَد، قَالَ شمر: وطيئ تقول ذلك"[192]. "الشَّوْلَقيُّ: الذي يبيع الحلاوةَ بلغة ربيعة، والفُرْس تسمّيه الرسَّ من الرِّجالِ"[193]. والمرآة عند عامة العرب مرآةٌ، لكن بلغة هذيل وطيئ: الوَذيلة[194]، وبلغة غيرهم: السجنجل[195]. وأهل المدينة يسمون التمر الذي لا يشتد نواه السُّخَّل، ويسميه أهل الحجاز شِيصاً[196].

ومن ذلك السَّطل في لغة معظم العرب، لكن في لغة الحجاز يسمى القَدَس؛ لأنه يُتطهر به[197]، ومن ذلك بلغة أهل اليمن تسمية ابن آوى بالعلَّوْض[198]، وتسمية المُشط بالفَيْلَم[199]، وتسمية الأصابع بالشناتر وبالقِرطة[200]، وتسمية الجُلّة التي يُحمل فيها القطن بالقَفْعةِ[201]، والمفازة بالقَباية، قال الشاعر:

..... وما كان عنزٌ ترتعي بقباية[202]

ومن ذلك تسمية قريش للدَّبَّة بالبطة؛ لأنها تعمل على شكلها[203]، وتسمية السحر بالعَضْهِ، والساحر عاضهاً[204]، وتسمية القَصْر بالأُجُمِ[205]، وتسمية ما رُزَّ في الأرض بالوتد، وتسمية تميم له بالوَدَ[206]، وتسمية طيئ للجليد والصقيع بالحَلِيت[207]، وتسمية هذيل للقدح الضخم بالقُمْعُل والقُلْعُم[208]، وتسمية بني عبد القيس للمسحاة المنعطفة بالسِّخّين وجمعها سخاخين[209]، وتسمية أهل البصرة للبَلَحِ بالخَلال واحدته خَلالة[210]، وتسمية أزد شنوءة لنِير الفدّان التي يحترث بها بالأُزْعُوَةِ، وتسمية الأزد للركبة بأم كيسان[211]، وتكنية طيئ للجُعَل بأبي وَجْزة[212]، وغير ذلك كثير، وحسبُ من أراد الاستزادة في هذا أن ينظر في الرسائل والكتب التي أفردت للأسماء كأسماء الليل والصحراء والخيل والناقة والذئب والأسد والسيف والرمح وغير ذلك مما لم يجمع كأسماء المرآة والقصر والرُّكبة وابن آوى والمسحاة والسكين وغيرها. وقد جمعت أسماء الذئب من معجم "لسان العرب" وحده فكانت أكثر من ثمانين بين اسم وكنية، وهذه هي بإيجاز: أَوْس[213]، اللَّعُوس[214]، اللَّغُوس[215]، الذَّأْلان وذؤالة[216]، العسيس والعسوس والعسعاس[217]، أبو مَذْقة[218]، السِّرحان[219]،

(189) اللسان (حضر).
(190) اللسان (عهن).
(191) اللسان (ربد).
(192) اللسان (غرف).
(193) اللسان (شلق).
(194) اللسان (وذل).
(195) اللسان (زجل).
(196) اللسان (سخل).
(197) اللسان (قدس).
(198) اللسان (علض).
(199) اللسان (فيلم).
(200) اللسان (شنتر).
(201) اللسان (قفع).
(202) اللسان (قبا).
(203) اللسان (بطط).
(204) اللسان (عضه).
(205) اللسان (أجم).
(206) اللسان (ودد).
(207) اللسان (حلت).
(208) اللسان (قمعل).
(209) اللسان (سخن).
(210) اللسان (خلل).
(211) اللسان (ركب).
(212) اللسان (جعل).
(213) اللسان (أوس).
(214) اللسان (لعس).
(215) اللسان (لغس).

العِسبار (ولد الذئب)[220]، الخليع، الخَولع[221]، الخِمْع[222]، اللَّعلع[223]، الطّملال[224]، الطِّمْل[225]، السمسم والسمسام[226]، الشَّقْذ والشَّقَذان والشِّقْذان[227]، الطِّلْبِس[228]، السِّمْع (ولد الذئب من الضبع)[229]، الهَمَلَّع والسملّع[230]، الهاوي والغاوي[231]، أبو جعدة[232]، القاعب[233]، الكُتَع (بلغة أهل اليمن)[234]، إلْقة[235]، الحِطْل[236]، نهشل[237]، القِلَّوْب وقِلَّاب[238]، الحابيان (الذئب والجراد)[239]، العملَّس[240]، القانب[241]، الدَّعْلج[242]، السّرحان والسرحال[243]، الطِّلْس[244]، الكَهمس[245]، الهقلَّس[246]، العِلَّوْص[247]، سَلَمَّع[248]، الصُّنْتُع[249]، الخيعل[250]، الدوبل[251]، أبو رِعْلة[252]، الهُذلول[253]، الشَّيْذُمان، الشَّيْمَذان[254]، الجَنِب[255]، القُطْرُب[256]، نُشْبة[257]،

(216) اللسان (ذأل، ثطا).
(217) اللسان (عسس).
(218) اللسان (مذق).
(219) اللسان (سرح).
(220) اللسان (عسبر).
(221) اللسان (خلع).
(222) اللسان (خمع).
(223) اللسان (لعع).
(224) اللسان (طمل).
(225) اللسان (كندش).
(226) اللسان (سمم).
(227) اللسان (شقذ).
(228) اللسان (طبس).
(229) اللسان (سمع).
(230) اللسان (هملع).
(231) اللسان (هوا، غوى).
(232) اللسان (وجل).
(233) اللسان (قعب).
(234) اللسان (كتع). وهو ولد الثعلب عند غيرهم.
(235) اللسان (ألق). وقيل: السعلاة.
(236) اللسان (حطل).
(237) اللسان (نهشل).
(238) اللسان (جحم).
(239) اللسان (حبأ).
(240) اللسان (عملس).
(241) اللسان (قنب).
(242) اللسان (دعلج).
(243) اللسان (سرح).
(244) اللسان (طلس).
(245) اللسان (كهمس) وقيل: هو الأسد.
(246) اللسان (هقلس).
(247) اللسان (علص).
(248) اللسان (سلمع).
(249) اللسان (صنتع) وقيل: هو الحمار الوحشي، وقيل الفرس القوي الشديد.
(250) اللسان (خعل).
(251) اللسان (دبل).
(252) اللسان (رعل).
(253) اللسان (هذل).
(254) اللسان (شذم).
(255) اللسان (جنب).

الأرسح[258]، السِّلَغَّد[259]، العمَرَّد[260]، الهِلْطَوس[261]، العِلَّوْش (حميرية)[262]، السُّعسُع[263]، الهَمَلَّع والسَّمَلَّع[264]، هُلَبِع وهُلابع[265]، العَوْف[266]، العَسْلَق[267]، أبو سِلْعامةَ[268]، الأصرمان (الذئب والغراب)[269]، التِّينان[270]، الطِّلْو[271]، القِلَاب (يمانية)[272]، السِّيْد[273]، لَذْلاذ[274]، الخَيتعور[275]، الأغبس[276]، القَوَّاع[277]، الأغبر[278]، النَّهْسَر[279]، الأزلّ[280]، الجاني[281]، عواسر[282]، الهزلج والهزالج[283]، الضَّبيز[284]، أُشْبَة[285]، المَذْيخة (بلسان خولان)[286]، العُفُق[287]، العَنَزَة[288]، عوابس[289]، المُرْق[290]، الغُبْس[291]. السِّلْقة[292]، السِّلْقِمَة[293]، القارَة[294]، الجَهيزة[295]، العسبور والعسبورة (ولد الكلب من الذئبة)[296]، العِسبار والعِسبارة (ولد الضبع من الذئب)[297]،

(256) اللسان (قطرب).
(257) اللسان (نشب).
(258) اللسان (رسح).
(259) اللسان (سلغد).
(260) اللسان (عمرد).
(261) اللسان (هلطس).
(262) اللسان (علش).
(263) اللسان (سعع).
(264) اللسان (سملع).
(265) اللسان (هلبع).
(266) اللسان (عوف).
(267) اللسان (عسلق).
(268) اللسان (سلعم).
(269) اللسان (صرم).
(270) اللسان (تين).
(271) اللسان (طلو).
(272) اللسان (قلب).
(273) اللسان (سيد). وقال في موضع آخر: "والسِّرْحانُ والسِّيدُ: الأَسدُ بِلُغَةِ هُذَيْلٍ". اللسان (سرح).
(274) اللسان (لذذ).
(275) اللسان (ختعر).
(276) اللسان (غبس).
(277) اللسان (قوع).
(278) اللسان (غبر).
(279) اللسان (نهسر).
(280) اللسان (نهش).
(281) اللسان (جبي).
(282) اللسان (أيم، عسر).
(283) اللسان (سمهج).
(284) اللسان (ضبز).
(285) اللسان (أشب).
(286) اللسان (ذيخ).
(287) اللسان (عفق).
(288) اللسان (عنز).
(289) اللسان (عبس).
(290) اللسان (مرق).
(291) اللسان (برغز).
(292) اللسان (سلق).
(293) اللسان (سلقم).
(294) اللسان (فطن).
(295) اللسان (جهز).

السّمْع (ولد الكب من الذئبة)[298]، إذا وَقَعَ الذِّئْبُ عَلَى الْكَلْبَةِ جَاءَتْ بالسِّمْع، وإذا وَقَعَ الْكَلْبُ عَلَى الذِّئبة جَاءَتْ بالخَيْهَفْعَ[299]، والدَّرْوانُ: ولَدُ الضِّبْعانِ مِنَ الذِّئْبة[300]. ومحالٌ أن تطلق قبيلة أو قبيلتان هذه الأسماء كلها على الذئب، بل هي مجموع ما أطلقته القبائل العربية عليه من مسميات، وربما كانت هناك مسميات أخرى ذكرتها المعاجم الأخرى، ولا داعي لجمعها هنا، فليس ذلك هدفا للبحث، ولكن ذكر هذه الأسماء له من معجم واحد يدل دلالة بيّنة على الازدواجية اللغوية على المستوى الدلالي في القرن الأول الهجري وقبله وبعده.

المسألة الثانية: الترادف، ويكون في الأفعال والصفات وليس في الأسماء، ومن الأفعال تحاربوا وتقاتلوا وتعاركوا، وقعد وجلس وبرك، وغير ذلك، وقد نسب اللغويون بعض المترادفات إلى قبائلها، وأهملوا معظمها، فكانت كثيرة بعد جمع اللغة، وأفردت بالبحث والتصنيف، ومن ذلك مرادف "ملأ" في لغة هذيل "أفرم"، يقال: أَفْرَمْتُ الإِناء؛ أي ملأْته[301]، يقول ابن منظور: أَفْرَمْت الْحَوْضَ وأَفْعمته وأَفأَمْتُه إِذَا ملأْته. الجوهري: أَفْرَمْتُ الإِناء ملأْته، بلغة هذيل"[302]. بينما يستعمل أهل اليمن الفعل "أفحق" بمعنى ملأ، يقال: أَفْحَقَ الشيءَ أو الإناءَ إذا ملأه[303]. ومن ذلك بلغة طيئ فجا بمعنى فتح، يقال: فجا بابه يفجوه إذا فتحه[304]، ومن ذلك بلغة أهل اليمن استخمر بمعنى استعبد، يقال: استخمر قوما؛ أي استعبدهم، والدَّظُّ الشَّلّ بلغتهم أيضا، يقال: دظّهم في الحرب يدُظُّهم إذا طردهم[305]، واللَّثِن: الحلو بلغتهم أيضا، روى الأزهري قال: سمعت محمد بن إسحاق السعدي يقول: سمعت علي بن حرب الموصلي يقول: شيءٌ لَثِنٌ؛ أي حُلولإ، بلغة أهل اليمن... وفي حديث المبعث:

بُغْضُكُمُ عِنْدَنَا مُرٌّ مَذاقَتُه وبُغْضُنا عندَكم- يَا قوْمَنا- لَثِنُ[306]

ومن ذلك في لغة عُمان "البَرْخُ" بمعنى الكبير الرخيص، يقال: كيف أسعارهم؟ فيجاب: بَرْخٌ؛ أي رخيصٌ[307]. ومن ذلك بلغة كنانة وأهل اليمن "الإدفاء" بمعنى القتل، يقال: أَدْفِئ المجرم؛ أي اقتله، وفي الحديث أنه أتي بأسير يُرعد، فقال لقوم: اذهبوا به فأدفئوه. فذهبوا به فقتلوه، فوداه رسول الله ﷺ. أردا الإدفاء من الدفْء بأن يدفأ في ثوب أو غطاء أو بجوار نار، لكن السامع حسبه من الإدفاء بمعنى القتل[308]. ومن ذلك في لغة الأزد "ركب" بمعنى ضرب، نقل ابن منظور عن ابن سيرين قوله: "أَما تعرف الأَزدَ ورُكَبَها؟ اتَّقِ الأَزدَ، لَا يأْخُذوكَ فيركُبُوكَ؛ أَي يَضربُوك برُكَبِهم. وكان هذا معروفا الأَزد. وفي الحديث: أَن المُهَلَّب بن أَبي صفرة دَعا بمُعاويةَ بن أَبي عَمْرو، فجَعَلَ يَرْكُبُه بِرِجْلِه، فَقَالَ :أَصلحَ اللهُ الأَمِير، أَعْفِنِي مِنْ أُمّ كَيْسانَ؛ وهي كُنْيةُ الرُّكْبة، بِلُغَةِ الأَزد[309]. ومن ذلك أن "يئس" مرادف للفعل "علم" في لغة هوازن[310]، وذكر ابن عباس والكلبي والجوهري وابن جني أنها لغة وَهبيل؛ وهم فخذ من النخع[311]، وعليها قول رباح بن عدي:

ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا[312]

وقول سحيم بن وثيل:

أقول لأهل الشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم[313]

أي: ألم تعلموا. وقد سبق أن ذكرت ألفاظا خاصة بقبيلة هذيل وهي مرادفات لكلمات عند قبائل أخرى، وقد أهمل اللغويون نسبة الكثير من المعاني إلى قبائلها كما أسلفت، لكن بعد جمع اللغة ظهرت مترادفات كثيرة جدا، فلا يكاد باب من أبواب المعجم يخلو من

(296) اللسان (عسبر).
(297) اللسان (عسبر).
(298) اللسان (سمع).
(299) اللسان (خهفع).
(300) اللسان (دري).
(301) اللسان (فرم).
(302) اللسان (فرم).
(303) اللسان (فحق).
(304) اللسان (فجا).
(305) اللسان (دظظ).
(306) اللسان (لثن).
(307) اللسان (برخ).
(308) اللسان (دفأ).
(309) اللسان (ركب).
(310) اللسان (يأس).
(311) اللسان (يأس)، والبحر المحيط 389/6.
(312) البحر المحيط 389/6.
(313) المحتسب 357/1، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ص193.

مترادفات فضلا عنها بين الأبواب الأخرى، ومن ذلك مثلا لو أحصينا مرادفات الفعل "ضرب" وحده لوجدنا عشرات الكلمات المستعملة قديما وحديثا، ومن ذلك: جلدَ، خبطَ، سطَرَ، صفع، صقَعَ، فجَّ، قفخ، كفخَ، لطم ...، ومرادفات الفعل "جلس" نحو: أناخ، برك، تربّع، جثا، جثم، ربض، قبع، قعد، وغير ذلك. وتأمل سريع لأي مادة من مواد المعجم يظهر لنا كثرة الترادف فيها.

ولم يقف الأمر عند الاستعمال اليومي، بل ظهر أيضا في القراءات القرآنية، فمثلا ﴿اهْدِنَا﴾ {الفاتحة: 6} فيها ثلاث قراءات: الأولى: اهدنا. والثانية: بَصِّرنا وهي قراءة ثابت البناني، والثالثة: أرشدنا، وهي قراءة ابن مسعود[314]. ومن ذلك قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ {البقرة: 144}، هذه قراءة الجمهور، وقرأ أبي وعبد الله "تِلقاء المسجد"، وقرأ عبد الله {شطره}: "قِبَلَه"، وقرأها ابن أبي عبلة "تِلقاءه"[315]. وكذلك قوله تعالى ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ {البقرة: 182} هكذا قرأها الجمهور "جنفا"، وقرأها علي بن أبي طالب "حَيْفاً"، وذكر ابن عطية أنه قرئ "حَنَفاً" بالحاء المهملة ونون بعدها[316]. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ {الرعد: 31}، هذه قراءة الجمهور، وقرأ علي بن أبي طالب وابن عباس وابن أبي مليكة وعكرمة والجحدري وعلي بن حسين وزيد بن علي وجعفر بن محمد وأبو يزيد المدني وعلي بن بديمة وعبد الله بن يزيد "أفم يتبين الذين آمنوا"[317]. ومن ذلك قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا﴾ {الكهف: 96}، قرأها الجمهور "الصدفين"، وفي مصحف ابن مسعود "بين الجبلين"[318]. وكذلك قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ {الأنبياء: 96}، قرأها الجمهور "حَدَب" بالحاء، وقرأها ابن مسعود وابن عباس والكلبي والضحاك ومجاهد وأبو الصهباء "جَدَث" بالجيم المعجمة والدال والثاء، وهو القبر، وبالثاء لغة الحجاز، وقرئ "جَدَف" بالجيم والدال والفاء، وهو القبر، وهي لغة تميم[319]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ {الأنبياء: 98}، هذه قراءة الجمهور بالصاد المهملة، وهو الحطب بلغة أهل اليمن أو الحبشة أو ما يلقى في النار في لغة أهل نجد كما يقول الفراء[320]، وقرأ ابن عباس وعائشة واليماني "حَضَب" بالضاد المعجمة، وقرأ أبيّ بن كعب وعلي وعائشة وابن الزبير وزيد بن علي وعكرمة وأبو العالية وعمر بن عبد العزيز "حطَب" بالطاء[321]. وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ {النور: 27}، هكذا قراءة الجمهور، وقرأها ابن عباس وأُبي بن كعب وابن مسعود "حتى تستأذنوا"[322]. وقوله تعالى ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ {المزمل: 6}. هكذا قرأها الجمهور، وروى الأعمش عن أنس بن مالك أنه قرأ "وأصوب قيلا"، وعن أنس أيضا أنه قرأ "وأهيأ قيلا"[323]. ومن ذلك قراءة ابن مسعود وابن جبير وابن شنبوذ لقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ {القارعة: 5} كالصوف[324]. ومن ذلك قراءة أبي لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف ٦١]: وإنه لذكرٌ للساعة[325].

خاتمة: نجمل فيها أبرز نتائج البحث

1. أن الأداء اللغوي كان في عصور الاحتجاج متعددا كتعدده في العصر الحاضر، ولم يكن أداء لغويا واحدا كما تصوره المسلسلات وكثير من الأبحاث.
2. أن الأداء اللغوي تعدد في عصور الاحتجاج على مستويات عدة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية.
3. برزت الازدواجية اللغوية على المستوى الدلالي والمعجمي في مظهرين: الأول تمثل في اختلاف دلالة اللفظ الواحد بين القبائل العربية، والثاني تمثل في تعدد الألفاظ الدالة على معنى واحد.

(314) معجم القراءات 17/1.

(315) معجم القراءات 210/1.

(316) معجم القراءات 249/1.

(317) المحتسب 357/1، واللسان (يأس)، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ص192-193.

(318) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص192.

(319) معجم القراءات 59/6.

(320) اللسان (حصب).

(321) معجم القراءات 60/6-61.

(322) معجم القراءات 254/6-255.

(323) معجم القراءات 143/10.

(324) معجم القراءات 553/10.

(325) معاني القرآن للفراء 37/3

4. تجلت مسائل اختلاف دلالة اللفظ الواحد بين القبائل العربية في الأضداد وكثرة المسميات باسم واحد وتعدد دلالات اللفظ الواحد.
5. تجلت مسائل تعدد الألفاظ الدالة على شيء واحد في الترادف وكثرة المسميات لمسمى واحد.
6. استخرج البحث من معجم (لسان العرب) لابن منظور أكثر من ثمانين اسما للذئب وكنية.
7. استخرج من معجم (لسان العرب) شواهد متعددة على كل مسألة من مسائل البحث مع عزوها إلى قبائلها.
8. أورد شواهد من كتاب (اللغات في القرآن) على ما اختصت به كل قبيلة من القبائل العربية من المفردات والمعاني.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423.
- الجمحي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، جدة، دار المدني، الطبعة الثانية، 1974م.
- ابن جني، عثمان، المحتسب في تبيين وجوه القراءات، تحقيق علي النجدي ناصيف وآخرين القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، الطبعة الأولى، 1966-1969م.
- الحمد، غانم قدوري، شرح المقدمة الجزرية، جدة، معهد الإمام الشاطبي، الطبعة الأولى، 2008م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، بعناية محمد جميل العطار، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، 2000م.
- الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، دمشق، دار سعد الدين، الطبعة الأولى، 2002م.
- الراجحي، عبده: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عمان، دار المسيرة، الطبعة الرابعة، 2015م.
- أبو سكين، عبد الفتاح: معالم اللهجات العربية، القاهرة، دار الكتب، الطبعة الأولى، 1978م.
- السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثالثة، د.ت.
- ابن عباس، عبد الله: اللغات في القرآن، رواية ابن حسنون المقرئ، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، 1972م.
- العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تصحيح وتحقيق عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.
- الكتبي، صلاح الدين بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1973-1974م.
- الفراء يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1980م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بيروت، توزيع دار الكتب العلمية، 1412هـ-1991م.